

تُعَدُّ الدراسة الاستطلاعية مرحلةً تمهيديةً أساسيةً في البحث العلمي، إذ تمثل الخطوة الأولى التي يلجأ إليها الباحث من أجل استكشاف ميدان الدراسة والتعرف على مختلف أبعاده قبل الشروع في الدراسة الأساسية. فهي تتيح للباحث فهماً أولياً للمشكلة البحثية، وتساعد على جمع معلومات ومعطيات ميدانية تساهم في بناء تصور واضح حول موضوع البحث، وصياغة الفرضيات، وتحديد الأدوات والإجراءات المناسبة للدراسة. وتكتسي الدراسة الاستطلاعية أهمية كبيرة في البحوث العلمية، خاصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، لما توفره من فرصة لاختبار مدى صلاحية أدوات جمع البيانات، والكشف عن الصعوبات والعوائق التي قد تواجه الباحث أثناء العمل الميداني. كما تساعد على التأكد من وضوح أسئلة البحث، وملاءمة العينة المختارة، ومدى إمكانية تطبيق المنهج المعتمد في الدراسة الأساسية.

ومن هذا المنطلق، أصبحت الدراسة الاستطلاعية ضرورة منهجية لا يمكن إغفالها، لأنها تقلل من احتمالات الوقوع في الأخطاء المنهجية، وتتيح للباحث قدراً أكبر من الدقة والموضوعية في معالجة الظاهرة المدروسة. فهي ليست مجرد إجراء شكلي، بل عملية علمية منظمة تهدف إلى توجيه البحث وضبط مساره بما يضمن الوصول إلى نتائج أكثر مصداقية وواقعية.

### 1 - تعريف الدراسة الاستطلاعية:

- هي تمهيد تخميني للبحث يلجأ إليها الباحث، عندما يكون مقدار ما يعرفه عن الموضوع قليلاً جداً لا يؤهله لتصميم دراسة وصفية أو تحليلية أو أنواع أخرى من الدراسات، فهي تفيد الباحث في زيادة معرفته بموضوع بحثه أو معرفة الظاهرة التي يريد التقرب منها، وذلك حتى يتسنى له دراستها بشكل أعمق.
- هي تلك التجربة التي تسبق التجربة الرئيسية وتكون لها فوائد كثيرة للباحث والبحث، وتكون من أهم بعض الإجراءات لأنها تحدد كيفية الحصول على نتائج بحثية دقيقة.
- هي تجربة مصغرة تطبق على عينة صغيرة من نفس مجتمع البحث.
- هي اكتشاف كل الأفكار الجديدة والاستبصارات الواضحة التي تساهم في مساعدة الباحث في فهم مشكلة البحث.
- أو الدراسة الاستطلاعية هي مرحلة تمهيدية في البحث العلمي تهدف إلى استكشاف الظاهرة المدروسة بصورة أولية قبل الشروع في الدراسة الأساسية. وتستخدم هذه الدراسة للتعرف على طبيعة المشكلة البحثية، واختبار أدوات القياس، وتحديد مدى ملاءمة إجراءات البحث والعينة والظروف المحيطة بالدراسة. ويطلق عليها أحياناً أسماء أخرى مثل: الدراسة الأولية، الدراسة التمهيدية، الدراسة التجريبية المصغرة.
- وهي لا تهدف إلى تعميم النتائج بقدر ما تهدف إلى تحسين تصميم البحث الرئيسي وتقليل الأخطاء المنهجية.

ويلجأ الباحث إليها في حالة إذا كان موضوع البحث الذي يقوم بدراسته نادراً، ومن أجل إيصاله لفهم أعمق لموضوع البحث، وعندما يكون أيضاً مقدار ما يعرفه عن الموضوع قليلاً جداً لا يؤهله لتصميم دراسة وصفية.

## 2 - أهداف الدراسة الاستطلاعية

تختلف أهداف الدراسة الاستطلاعية طبقاً للموضوعات التي يتم معالجتها:

**أولاً: عندما يكون الموضوع جديداً لأول مرة يعالج فإن أهداف الدراسة الاستطلاعية هي:**

- جمع المعلومات الكافية حول المشكلة المراد معالجتها.

- تحديد الامكانيات الفعلية لإجراء الدراسة.

- التحقق من وجود المشكلة المراد دراستها.

- التعرف على الملابسات والظروف التي تحيط بالمشكلة.

**ثانياً: عندما تكون المشكلة سبق دراستها فإن أهداف الدراسة الاستطلاعية تتمثل في:**

- التعرف على الظاهرة وخصائصها ميدانياً.

- بلورة وصياغة موضوع البحث بشكل إجرائي.

- ضبط وصياغة إشكالية وفروض البحث بشكل دقيق.

- ضبط وتحديد المفاهيم الأساسية للبحث.

- التعرف على الظروف التي ستجرى فيها الدراسة النهائية.

كما يمكن إضافة أن الدراسة الاستطلاعية عموماً تهدف إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، من أهمها:

- تحديد وصياغة مشكلة البحث بدقة: حيث تساعد الباحث على فهم أبعاد المشكلة والظروف المرتبطة بها.

- اختبار صلاحية أدوات القياس: مثل الاستبيان أو المقياس النفسي، للتأكد من وضوح العبارات وسهولة الإجابة عليها.

- التأكد من ملائمة إجراءات البحث: مثل الوقت اللازم للإجابة، وطريقة تطبيق الأداة، وصعوبات التطبيق.

- تقدير الزمن والتكلفة: حيث تعطي الدراسة الاستطلاعية تصوراً واقعياً للوقت والجهد المطلوبين.

- التعرف على خصائص العينة: مثل مستوى الفهم، والتفاعل مع الأداة، والاستجابة للبحث.

## 3 - أهمية الدراسة الاستطلاعية

تكتسب الدراسة الاستطلاعية أهمية كبيرة في البحث العلمي للأسباب التالية:

- تقليل الأخطاء المنهجية: لأنها تكشف المشكلات قبل تنفيذ الدراسة الأساسية.

- رفع مستوى الصدق والثبات: من خلال تعديل الأداة بناءً على نتائج الدراسة الاستطلاعية.

- توفير الوقت والجهد: إذ تمتع إعادة تطبيق الدراسة بسبب أخطاء في التصميم.
- توضيح متغيرات البحث وعلاقاته: مما يساعد في صياغة فروض دقيقة وقابلة للاختبار.

#### 4 - خصائص الدراسة الاستطلاعية

- تتميز الدراسة الاستطلاعية بعدة خصائص، أهمها:
- صغر حجم العينة مقارنة بالدراسة الأساسية.
- عدم الاعتماد على نتائجها في التعميم.
- مرونة الإجراءات وإمكانية التعديل خلالها.
- تركيزها على الجانب التطبيقي للأداة والإجراءات.

#### 5 - خطوات إجراء الدراسة الاستطلاعية

- تمر الدراسة الاستطلاعية بعدة خطوات أساسية:
- تحديد الهدف من الدراسة الاستطلاعية: مثل اختبار أداة القياس أو التعرف على صعوبات التطبيق.
- اختيار عينة استطلاعية: تكون مشابهة لعينة الدراسة الأصلية في الخصائص.
- تطبيق أداة البحث: مثل الاستبيان أو المقياس النفسي.
- تحليل النتائج الأولية: لاستخراج المؤشرات الإحصائية مثل معامل الثبات أو صعوبات الفهم.
- تعديل الأداة أو إجراءات البحث: بناءً على نتائج الدراسة الاستطلاعية.

#### 6 - مثال تطبيقي في علم النفس الإرشاد والتوجيه

عنوان الدراسة: أثر برنامج إرشادي جماعي في خفض قلق الامتحان لدى تلاميذ مرحلة البكالوريا.

قبل تنفيذ الدراسة الأساسية، يقوم الباحث بإجراء دراسة استطلاعية على عينة صغيرة من التلاميذ، وذلك باتباع الخطوات التالية:

- اختيار عينة استطلاعية: تتكون من 20 تلميذاً من نفس المرحلة الدراسية، لكن من مؤسسة تعليمية غير المؤسسة المستهدفة في الدراسة الأساسية.

- تطبيق مقياس القلق الأكاديمي: يطبق الباحث المقياس على العينة الاستطلاعية بهدف:

- التأكد من وضوح العبارات
- تحديد الزمن اللازم للإجابة
- حساب معامل الثبات

- جمع الملاحظات: يلاحظ الباحث أن بعض العبارات غير مفهومة لدى التلاميذ، مثل:

• عبارة تحتوي مصطلحات نفسية معقدة

• سؤال مزدوج المعنى

• سؤال غير مفهوم...إلخ

- تعديل الأداة: يقوم الباحث بإعادة صياغة العبارات غير الواضحة، وحذف بعض البنود المتشابهة.

- حساب الثبات: بعد التحليل، يحصل الباحث على معامل ثبات (كرونباخ ألفا).

- وأخيرا نتحصل على نتيجة الدراسة الاستطلاعية وتعديل المقياس ليصبح أكثر وضوحًا وملاءمة للتلاميذ، مما يضمن تطبيقًا أكثر دقة في الدراسة الأساسية.

ومنه يمكن تحديد أهم الفروق بين الدراسة الاستطلاعية والدراسة الأساسية لأي دراسة علمية يمكن ذكره

بعضها في الجدول أسفل:

| وجه المقارنة | الدراسة الأساسية | الدراسة الاستطلاعية       |
|--------------|------------------|---------------------------|
| الهدف        | اختبار الفروض    | اختبار الأدوات والإجراءات |
| حجم العينة   | أكبر تمثيلا      | أصغر تمثيلا               |
| التعميم      | تعمم النتائج     | لا تعمم النتائج           |
| المرحلة      | نهائية           | تمهيدية                   |

تُعد الدراسة الاستطلاعية مرحلة أساسية في أي بحث علمي، خاصة في ميادين العلوم الإنسانية والنفسية، لأنها تساعد الباحث على اختبار أدواته وإجراءاته قبل التطبيق النهائي. كما تساهم في رفع جودة البحث العلمي وتقليل الأخطاء المنهجية، مما يجعل نتائج الدراسة الأساسية أكثر دقة وموثوقية.

#### المراجع:

- يوسف تمار. (2023). الأخطاء المنهجية في الدراسات الاستطلاعية، المجلة الجزائرية لبحوث الإعلام والرأي العام، المجلد (06) العدد 01، 16 - 23

- خالد عبد السلام. (2019). منهجية البحث العلمي، مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثانية أرطفونيا، قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطفونيا، جامعة فحات عباس سطيف.